

## الخطبة الستون العبادة والاستعانة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله مداد كلماته، الحمد لله زنة عرشه، الحمد لله رضا نفسه، الحمد لله ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد يا ذا الجلال والإكرام. وبعد:

\* قوله تعالى في الحديث القدسي: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: (حمدني عبدي)، فإذا قال العبد: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: (أثنى عليّ عبدي)، فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال الله تعالى: (مجدي عبدي)، وقال مرة: (فوض إليّ عبدي)، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: (هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل)، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٢) قال: (هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل). م - د - ت - ج ه - ن.

\* عظم الله سبحانه وتعالى شأن الفاتحة حتى جعلها الصلاة كلها، بقوله: (قسمت الصلاة) ولم يقل: (قسمت الفاتحة) وكأن الصلاة هي الفاتحة، وبدون الفاتحة لا صلاة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» البخاري ومسلم.

\* وقال سبحانه بعد كل آية ما يناسبها: حمدني عبدي - أثنى عليّ عبدي - مجدي عبدي - ثم في إياك نعبد وإياك نستعين قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل - ثم في النهاية قال: هذا لعبي ولعبي ما سأل. لأن

النهاية كانت دعاء: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخرها) دعاء من العبد إلى الله تعالى، وفي الأول ثناء، ولكن في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، فما هو المقصود؟

المقصود والله أعلم: أنك تدّعي وتعلن وتقول: إنك أنت يارب الذي أعبد، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: نعبدك وحدك ولا نعبد سواك، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نستعين بك وحدك ولا نستعين بأحد غيرك، وهذا ما قاله علماء اللغة: بفائدة تقديم الضمير على الفعل، أنه يفيد الحصر أي: لا نعبد ولا نستعين إلا بك وحدك.

هذا الادعاء الذي تدّعيه يا عبد الله هو بينك وبين الله سبحانه وتعالى، أي: إن حقيقة هذا الدعاء لا يعلمها على حقيقتها وعلى مصداقيتها إلا الله سبحانه ثم أنت. \* وحصر الله سبحانه وتعالى القضية في أمرين: أمر العبادة وأمر الاستعانة.

**(العبادة):** هي أن تطيع الله سبحانه وتعالى في كل ما أمرك به، وأن تطيعه في كل ما نهاك عنه، سواء أكان الأمر والنهي في كتابه أو في سنة رسوله عليه الصلاة والسلام. وقد قيل: إن العبادة هي أمرٌ جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال والنيات. والعبادة تنقسم إلى أقسام منها: ما هو فرض عيني، أي: أن كل فرد بعينه يجب عليه القيام بها ولا يصح أن يقوم بها غيره عنه، كالصلاة؛ فرض عيني على كل فرد ولا يمكن لأحد أن يصلي عن أحد، وكذلك باقي الفرائض. وهناك فروض على الأمة تسمى: **فروض الكفايات**، أي: هو فرض على الأمة أو الجماعة، فإذا قام بها البعض نالوا الجزاء وسقط الإثم عن باقي الجماعة، وإذا لم يقم بها أحد أثمت الجماعة كلها، كتغسيل الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه. وهناك نوافل أي: مستحبات يفعلها الإنسان فيثاب عليها، وترتفع بها درجاته وتحط عنه سيئاته، ويدفع الله عنه بها المصائب، ويغفر ذنبه، وتبيض صحيفته، ويَجْبُرُ بها ما نقص عليه من عمله، ويزداد بها رزقه، وينسأ له في أجله ويبارك الله له، وتزداد بها ملائكته، ويزين بها قبره، ويدفع الله تعالى بها عنه السوء، وشروط العبادة:

1. أن تكون خالصة لله تعالى.
  2. أن تكون مما شرعه الله تعالى أو رسول الله ﷺ.
  3. أن تكون مطابقة في الكيفية لما فعله رسول الله ﷺ.
  4. وأن تكون العبادة من قلب خائف وجل يرجو رحمة الله تعالى ويخشى عقابه وعذابه، متذلل متضرع إلى الله تعالى بأن يقبل عمله ويدخره له للآخرة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَرَاتِ وَهُمْ لَهَا سُيُفُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: 23 / 60-61] وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْبُدُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْبُدُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: 39 / 9].
- ودخل رسول الله ﷺ على رجل يحتضر، فقال له: كيف تجدك؟ قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد مؤمن في مثل هذا المواطن إلا أعطاه الله عز وجل ما يرجو وأمنه الذي يخافه» الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه.
- وأنواع العبادة: كل قول وكل عمل وكل نية أريد بها وجه الله تعالى، وفيها خير وإصلاح وفيها أصل من أصول الدين فهي عبادة، حتى تبسّمك في وجه أخيك صدقة، والخوف على المسلمين ومصالحهم وعقائدهم وأمورهم عبادة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين» مسلم.
- وهناك أنواع للعبادات: عبادة جسدية، وعبادة مالية كالزكاة والصدقة، وعبادة لسانية كالذكر والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبادة مكانية كأن تذهب إلى الحج، وعبادة فكرية تتفكر في خلق الله وتتفكر في عظيم صنعه، وعبادة قلبية كالخوف فلا تخاف إلا الله، والمحبة تحب من يحبه الله ورسوله وتكره ما يكرهه الله ورسوله، وعبادة زمانية وفتية في زيارة المرضى وإبداء النصيحة ومساعدة المحتاج، وعبادة التعلم والتعليم وما إلى ذلك.

كل العبادات يجب أن تكون خالصة في سبيل الله سبحانه وتعالى، ترضو أن يقبلها الله سبحانه منك وتجعلها إيماناً واحتساباً، مؤمناً بما أمر الله به ورسوله، مؤمناً بالشواب، مصدقاً لوعود الله سبحانه ووعود رسوله، وتحتسب أجره عند الله، ولا تريد أي منفعة أو ربح أو مصلحة إلا الجزاء من الله تعالى، فهذا تحقيق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وأما (الاستعانة) فإنك تطلب المدد والعون والإعانة والقدرة والاستطاعة من الله سبحانه وتعالى، توكلك عليه واعتمادك عليه هو مصدر العطاء، هو القادر على كل شيء، وهو الوكيل على كل شيء، ما شاء الله كان وما لم يشأ سبحانه لا يمكن أن يكون، بيده الأمر، وله الحكم، وله القرار، وله المشيئة التامة سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون: 78-80]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوتُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: 84-89].

الاستعانة بالله سبحانه وتعالى هو تجرد القلب من الاعتماد والتوكل إلا على الله، الاستعانة هي الثقة بالله سبحانه وتعالى والإيمان التام بقدرته وتصرفه في ملكه وأنه سبحانه وتعالى فعال لما يريد، وهو على كل شيء قدير، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدْبِرُ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَنْقُوتُ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: 31]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: 27/62]، لذلك كرر الله سبحانه وتعالى هذه الآية: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (33) مرة في القرآن الكريم لتثبت في ذهنك وقلبك،

فإذا كنت تؤمن بهذا وبأنها حقيقة ثابتة لا شك فيها، فكيف تسأل غيره وتستعين  
بغيره وتدعو وتتوسل وتستغيث بمخلوق مثلك؟ قدراته مثل قدراتك، ضعيف مثلك  
لا يملك حولاً ولا قوة، أليس في استعانتك وتوسلك بمخلوق هو قلة أدب مع الله؟  
ترك القوي العزيز، القادر على كل شيء، والمالك لكل شيء، والمتصرف بكل  
شيء، ثم تلتجئ إلى من لا حول له ولا قوة ولا استطاعة ولا قدرة، أليس هذا الشرك  
بعينه؟ أليس هذا هو الكفر والإنكار لصفات الله سبحانه وتعالى وخصائصه؟ لو كنت  
بحضرة ملك وسألت خادماً من حاشيته، ألا يغضب الملك عليك والله المثل الأعلى  
وأعوذ بالله من التشبيه. قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا  
يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً﴾ [الفرقان: 25 / 3].

1. قد عتب الله سبحانه وأنكر على من قال من يهود: إن الله لم ينزل شيئاً من التعاليم  
والتشريع والأوامر، فقال سبحانه: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ  
الَّذِي جَاءَ بِهِ مَوْسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَوهُ قَرِيطِسَ بَدُونَهَا وَخُفُونَ كَثِيراً﴾ [الأنعام: 6 / 91].  
من المسؤول عن هداية البشر وتعليمهم وإخبارهم عن ربهم وعمما يسعدهم في  
الدنيا والآخرة؟ أليس هو الله سبحانه وتعالى؟ لذلك قال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى  
﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾﴾ [الأعلى: 87 / 2-5].

2. ثم عقب الله سبحانه وتعالى وعاب على المشركين الذين استعانوا بغير الله،  
وظنوا الخير والقدرة والاستطاعة لغير الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿إِنَّكَ الَّذِي  
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ  
مِنْهُ ضَعْفَ الطَّلَبِ وَالْمَلْطُوبِ﴾ [الحج: 73-74]، وكأنه سبحانه وتعالى يقول: من استعان بغير الله سبحانه  
وتعالى لم يعرف الله، من توكل على غير الله سبحانه لم يعرف الله ولم يعرف  
قدرته ولم يعرف خصائصه، من اعتقد القدرة والاستطاعة بغير الله سبحانه،  
لم يعرف الله لأن الله قوي قادر على خلق كل شيء وعزيز غالب لا يعجزه  
شيء سبحانه وتعالى.

3. ويبن الله سبحانه وتعالى بأية في منتهى العظمة ومنتهى القدرة ومنتهى الفخامة قدرته وقوته وعظمته، فقال في آية تفرع القلوب وتفتح الأذهان وتبهر العقول: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: 39 / 67]. فهل بعد هذه الآية من بيان؟ هل هناك أوضح وأبين للفهم من هذا الشرح والتفصيل؟ هل عرفت من هو الله سبحانه؟ هذا هو الله الذي يجب أن نعبد ونستعين به ونتوكل عليه ونرجوه وندعوه ونتوسل إليه ونتضرع إليه ونبكي له ونسجد له وترفع يديك له بكل ثقة وإيمان، فهو ربك وخالقك ورازقك وهو الذي أحياك وهو الذي يميتك وهو الذي يحاسبك وهو الذي يأمر بك إلى الجنة أو إلى النار والعياذ بالله.

مرّت (وما قدروا الله حق قدره) ثلاث مرات في القرآن لتبين الهداية والخلق والقدرة في الدنيا، والقوة والقدرة والسطوة والعظمة في الآخرة، سبحانه ما أعظمه، سبحانه ما أجله، سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

سؤال منطقي أود أن أطرحه عليك: إن بعض الآيات القرآنية سمّاها العلماء آيات تقريرية، أي: إنها تعبر عن سنّة كونية أو قضية حتمية أو قرار رباني لا يتغير ولا يتبدل، وهذه الآيات كثيرة في القرآن الكريم وأود أن أطرح عليك آية واحدة، وهي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ﴾ [العلق: 8 / 96]. إذا كان المرجع إلى الله تعالى وهو الذي قال فيها (19) آية في القرآن الكريم ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، وهو الذي نبهنا وحذرنا إلى هذه الحقيقة بقوله: ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس: 10 / 56]، وقال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 2 / 281]، قال ابن عباس رضي الله عنه: إنها آخر آية نزلت من القرآن الكريم، وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: إن رسول الله ﷺ مات بعد نزول هذه الآية بتسع ليال.

والسؤال الذي أود أن أطرحه: إذا كانت الرجعى إلى الله تعالى وكرر ذلك علينا في (19) آية واضحة ثم ختم قرآنه سبحانه وتعالى بهذه الآية العظيمة التي فيها التحذير والتنبيه والموعظة ولفت الانتباه والتركيز على أن الرجعى إلى الله تعالى، فهل من المنطق ومن المعقول أن تدعو غيره أو تسأل غيره أو أن تتوكل على غيره؟ فهل من المنطق والمعقول أن تعبد غيره؟ وتعلق قلبك بغيره؟

أعتقد أن هذا لا يفعله عاقل، العبادة كلها لله، وتعلق القلب بالله فقط، والدعاء له والاستعانة به والثقة به، وحسن الظن به ليغفر لنا ويرحمنا ويتقبل منا ويتجاوز عن سيئاتنا، ويرحم ضعفنا ويغفر لنا زلاتنا وإسرافنا في أمرنا وتقصيرنا في عبادته وذكره وطاعته، فهو أرحم الراحمين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لا إله إلا أنت سبحانك أنت أكرم الأكرمين، لا إله إلا أنت سبحانك وأنت أرحم الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك إنك أنت الغفور الرحيم.

العبادة والاستعانة نتيجة الإيمان بالله سبحانه والإيمان برسوله ﷺ، العبادة والاستعانة هي تحقيق لا إله إلا الله محمد رسول الله، العبادة والاستعانة هي تحقيق الاتباع التام لسنة النبي عليه الصلاة والسلام، لأن العبادة والاستعانة ركنان أساسيان، لا بد من التعليم والتوجيه النبوي لتطبيقهما، فحتى تكون العبادة والاستعانة صحيحة ومقبولة بإذن الله، لا بد من اتباع الوحي النبوي في تطبيقهما ولما قال الله سبحانه وتعالى لنبيه أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٢﴾ لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ١٦٣﴾ [الأنعام: 6 / 161-163].

لما أمره الله سبحانه أن يقول ذلك، قال عليه الصلاة والسلام من حديث مالك بن الحويرث: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وروى جابر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «خذوا عني مناسككم» وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إنه ليس من شيء يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا

قد أمرتكم به وليس شيء يقربكم عن النار ويبعدكم عن الجنة إلا قد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين نفث في روعي: أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصي الله فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته» ابن أبي شيبه - البيهقي - حم - ج ه .

وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 33 / 71]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: 13 / 4]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: 69 / 4].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

